رؤية المستقبل في الرواية المغاربية وأبعادها الفلسفية

أ. وسيلة بوسيس

جامعة جيجل

يطلق كثير من الدارسين اليوم تسمية أدب المستقبل، أو الأدب الإستشرافي على الأدب الخيال العلمي وهو الأدب الذي يستثمر في جوهره معطيات العلم والتكنولوجيا من اجل خلق وقائع خيالية وافتراضية تتمظهر في المستقبل القريب أو البعيد.

والمتأمل للتعريفات التي حددت مفهوم أدب الخيال العلمي، يجد أنها تنطلق في أساسها – بالإضافة إلى الارتكاز على مفهومي الخيال والعلم الجوهريين – من فكرة المستقبلية وما يدور في فلكها من موضوعات، كمصير الإنسان والبشرية، وتأثير تطور التقنية على العالم وأسئلة الحضارة في تحولها المستمر وتعالقها بالثقافة العلمية.

إن أدب الخيال العلمي هو الأدب الذي يترجم المكتشفات والمخترعات والتطورات التقنية التي ظهرت أو القريبة الظهور أو المحتمل ظهورها في المستقبل البعيد إلى مشاكل إنسانية ومغامرات درامية كما يقول الناقد الأمريكي "جي. أو . بيلي"... أو هو الأدب الذي يعالج بكيفية خيالية مدروسة استجابة الإنسان لكافة ما يحيط به من تقدم وتطور في العلوم وتقنياتها، وهو في رأي الروائي الفرنسي "بيير بنوا" الأدب الذي لا يتخذ الإنجازات العلمية والاختراعات التقنية فقط مضمونا له، وإنما يتعرض أيضا لموقف الإنسان من الآلة بحكم أنها النتاج المباشر للعلم الحديث كما أنه يمزج عناصر الطبيعة وقواها داخل نسيجه الفني وهذا يتطلب معرفة شاملة معلما واسعا من المبدع بنظام الميكنة وقوانين الطبيعة والأحياء»[1] كما أنه ذلك النوع من "الأدب الذي يتعامل مع تأثير التغيير على البشر في عالم الواقع ويستطيع أن يعطي فكرة صحيحة عن الماضي والمستقبل والأماكن القاصية. وغالبا ما يشغل نفسه بالتغيير العلمي أو التكنولوجي ويشمل عادة أمورا ذات أهمية أعظم من الفرد أو المجتمع المحلي، وكثيرا ما تكون الحضارة فيه أو السلالة البشرية معرضة لنوع من الخطر" [2].

وإزاء ذلك فإنه «يندد بالأسلحة النووية وبالحرب البيولوجية ويدعو إلى السلم والحياة المثلى في أي رقعة من الكون وهو جزء متطور متسلح بوسائل علمية خيالية تكنولوجية ولا يقتصر على مخاطبة الوجدان والعاطفة بل يخاطب العقل ثم يتجاوزه ليجبره على السمو والرفعة، وذلك هو دور علم الخيال الذي ولد ليساعد الأدب على مواصلة السير نحو إيديولوجية واضحة تمنح الإنسان حقه في العيش دون عسر أو يأس» [3]

هكذا وفي ضوء التفسيرات السابقة يمكن أن نخرج بمفاهيم صريحة لأدب الخيال العلمي، مدارها الرؤية المستقبلية للإنسان والكون والبشرية.

- أدب تصور المستقبل استنادا على وقائع التقدم العلمي ومنجزات التقنية.
- الأدب الاستشرافي الحالم بلحظة انتصار الإنسان وخلاصه من خطر الدمار أو تغلبه على الشيخوخة وقهره للعجز والمرض.
- الأدب الذي يقدم فرضيات عن ردود فعل الإنسان إزاء ما يستجد من مكتشفات واختراعات في المستقبل القريب أو البعيد.

رؤية المستقبل في أدب الخيال العلمي: باتت رؤية المستقبل في هذا النوع من الأدب تتخذ أهمية قصوى في القرن العشرين خاصة بعد الحربين العالميتين حيث استيقظ الضمير البشري على مشهد الهول الناشئ من الدمار الذي أعقب الحربين، الذي تسبب في كوارث ومآس مادية ومعنوية ونفسية للعالم أجمع، الأمر الذي بعث على التفكير في المستقبل وفي كيفية التخطيط والتدبير لما يمكن أن يحدث فيه وهو ما أدى إلى ظهور «علم جديد هو الدراسات المستقبلية نشطت بموازاته الكتابة الخيالية العلمية، وهما نمطان من التفكير يوحّد بينهما هدف واحد هو الانشغال بالمستقبل البشري والاجتهاد في رسم مختلف الصور والاحتمالات الممكنة والمحتملة أو المرغوب في تحقيقها وإنجازها مع امتلاك كل منها لأسلوبه الخاص»[4]

نشط أدب الخيال العلمي وتطور البحث في حقل الدراسات المستقبلية في مناخ مأساوي حمل فيه العلماء والمثقفون أسئلة جوهرية حول عواقب تطور العلم والتكنولوجيا والاستثمار اللاقانوني واللانساني لمنجزات العلوم وراحوا يرسمون خارطة مستقبل بديل يسمح آثار كوارث القنبلة الذرية على بني البشر في أعاقب الحربين العالميتين وعليه:

«فأدب الخيال العلمي يمكن أن يعمق الشعور بالنمو التكنولوجي وعواقب هذا النمو، كما يستطيع أن يحذرنا بفوائد وأضرار تغيير النظم الاجتماعية، حسب أساليب مختلفة ويجعلنا أكثر إحساسا بأن قيمنا نسبية، ويساعدنا على معرفة الأبعاد الخلقية والقانونية والسياسية للمشاكل الاجتماعية»[5]، في إطار لغة وأسلوب الكتابة الأدبية المعهودة من خلال صياغة المعطيات العليمة صياغة أدبية فالعلوم في قصص الخيال العلمي، ليست هي المستهدفة في حد ذاتها ولكنها تستخدم في طرح فرضيات تمكن من تشخيص وتحليل واقع الإنسان في تعامله المستقبلي الحكيم أو المتهور مع منجزات التقدم العلمي. إن بنيان قصص الخيال العلمي القائم على الخيال منطقي مدروس يتيح لنا تلمس الصورة المنتظرة لتطور مستقبلنا وتغير ظروف حياتنا في ظل سيادة العلم ودوام البحث والتكهن به والاستعداد له لأنه يقلص الفجوة بين ما هو معلوم لدينا بالفعل وما لا يزال مجهولا ويتم ذلك بالانطلاق الذهني نحو بدايات وأفكار جديدة لم تطرق قبلا ومن هنا عن طريق الخيال في المبدأ يمكن تطويع العلم وتطويره، ومن ثم الذهاب به إلى آفاق جديدة غير متوقعة" [6]

ظل موضوع المستقبل غير مفكر فيه تفكيرا علميا ممنهجا ولزمن طويل فقد كان هذا التفكير مند آلاف السنين يخضع للتخمين: "إلا أن الاهتمام باستطلاع المستقبل لم يغب مطلقا عن دهن قدماء الفلاسفة والمؤرخين والأنبياء فظواهر العرافة والكهانة والتنجيم التي تميزت بها الحضارات القديمة في مصر وبابل واليونان والهند تدل على الاهتمام المبكر بمحاولة استطلاع المستقبل وفهم مساواته"[7]. فالأمر إذن في الخيال العلمي يتعلق بافتراض وقائع تستند إلى مداخل نظرية وأساليب علمية، وليس برؤية تأملية تعتمد التنبؤ والتخمين/ وإن كانت فلسفة الخيال العلمي القائمة على العقلانية وعلى الطابع المنهجي العلمي لا تتنكر إمكانية استثمار تجربة الحدس والخيال التصوري الإنساني على أساس أنهما وسيلتان معرفيتان: «والمستقبليون" les futurologues " يتنبأ ون بمد قوي للعلوم المخبرية التجريبية التي جاءت بالحروب العالمية وبأسلحة الدمار الشامل وبأنواع الأوبئة، والتي جاءت كركيزة للفاشية والنازية ونظام العالم الواحد. العلوم الإنسانية إذن تعمل حاليا على إعطاء بديل علمي للتاريخ المستقبلي»[8].

هكذا نخلص إلى أن رؤية المستقبل في فكر الخيال العلمي تقوم على وحدة من جوهرين أساسين منطق علم وتخيل أدب.

تيمات أدب الخيال العلمي في الرواية المغاربية: تحاول هذه المداخلة استقراء أبرز الموضوعات المطروحة في أدب الخيال العلمي المغاربي مع العمل –ما أمكن– على موضعتها ضمن خارطة فلسفة الخيال العلمي بشكل عام، وما تقدمه هذه الفلسفة من تيمات أو هواجس مركزية ذات بعد هام في حقل المعرفة البشرية.

تثير قصص الخيال العلمي قضايا استشرافية تتعلق بمستقبل الإنسان وبالأخطار التي يمكن أن يتعرض لها فهي تعمل على توعية والتحذير من طرف الإبادة ومما يهدد البشرية «إن التصعيد الهائل لابتكار المزيد من أدوات القتل والدمار ومن ثم الانزلاق إلى حلبة سباق التسلح، يولد الآن ردة فعل صحيحة في كافة أنحاء العالم كما يتزايد عدد العلماء وفي مقدمتهم الأطباء الذين ينضمون لمعارضة سباق الفناء، إلا أن عبئ المعارضة الرئيس تتفرد به أقلام بالغة الموضوعية والتحمس، لعل أبرزها ما تندرج تحت مظلة أدب الخيال العلمي وتتفاعل بأسلوبه ورؤاه خاصة من خلال تطور الأحداث وصور الأشياء في الزمن القادم»[9]

يؤكد كثير من العلماء على دور الخيال العلمي الحيوي في تأمين مستقبل البشرية وحمايته «إذ تشير المقولات المستقبلية إلى أن أي إنسان يتوقع مواجهة الصعاب المقبلة ويريد التغلب عليها بصورة مطلقة لابد أن يقرأ أدب الخيال العلمي. ويثبت آثر كلارك أن القراءة النقدية لأدب الخيال العلمي بمثابة تدريب أساسي لمن يتطلع إلى الأمام أكثر من عشرة سنوات» [10]

كما يدور أدب الخيال العلمي في فلك الخوارق والطاقات فوق إنسانية كسرعة التنقل والذكاء الاصطناعي وغيرهما. ثم إن العمل المخبري لم يتأخر كثيرا في استحضار العقاقير الأولى التي لاحظ العلماء والأطباء تأثيرها مند القرن التاسع عشر للميلاد على الحواس وردود الفعل.

إضافة إلى هذه الموضوعات يحفل أدب الخيال العلمي بقضايا أخرى تشكل عوالمه التخيلية العلمية كالمفارقة، وصنع التاريخ، وانتصار الإنسان على الآلة وغيرها،

وقد عكست أعمال كتاب الخيال العلمي المغاربي هذه الهواجس مندرجة في التيار العالمي لهذا الشكل الكتابي، إلا أن هناك ملامح خاصة وأصنافا معينة من المساءلة، اختص بها عدد من الروائيين وكتاب القصة في المغرب العربي. وتأتي هذه المداخلة لتلمس كيفية اشتغال هذه التيمات مع التركيز على طرائق تمظهرها وأبعادها الفلسفية في بعض النماذج، التي أمكن لنا الإطلاع عليها وتناولها بالدرس والتحليل.

1- مقاربة الفضاء الضديوطوبي: كلمة يوطوبيا التي أوجدها طوماس مور Thomas More بإصدارة رواية "المدسنة الفاضلة" مكونة من جدرين لغويين (UH) وهي أداة النفي لا والجذر (Topos) ومعناه المكان أي-طوبيا معناها لا مكان[11] وأية معاينة سريعة للكتب التي تشرح مفهوم هذا المصطلح تسمح باستنتاج المداليل التالية:

أولا: المكان المختلف عن الراهن بحكم كون الراهن حلة يألفها الإنسان ويسقط عليها ما في نفسه من مشاعر القلق والضجر ثم يجد نفسه يحلم بمكان أفضل وأكثر ملائمة لمطامع النفس ومطامع العقل[12].

ثانيا: المكان الأفضل: مقولة الأفضلية هذه أهم مقولات كلها، إذا أتينا إلى التنظير للأدب اليوطوبي، وإذا كنا نحدد ظهور مصطلح يوطوبيا بالقرن السادس عشر فإننا لا نعني بأي حال من الأحوال بان اليوطوبيات تبدأ عند ذلك التاريخ، فالتفكير اليوطوبي قديم قدم الحياة على الأرض. ثم إن بعض الدارسين يعود به إلى التفكير في الجنة التي عرفها الإنسان في بداية مطافه واحتضنت ميلاده قم انفصل عنها ولم ينقطع عن الحلم بالعودة إليها[13].

يصور لنا الروائي حبيب مونسي في روايته "جلالته الأب الأعظم" مجتمعا مستقبليا يبدأ من سنة 2018 وينتهي سنة 2099 بكل ما فيه من مساوئ، إذ عملت فيه الآلة على تبليد الذهن، وتحويل الإنسان إلى مجرد لعبة بعد أن أحكمت التقنية سيطرتها على دماغه وقامت بتوجيهه وتحويله، إنها ملامح الدولة العالمية الموحدة التي قضت على الأقاليم والحدود، قضت على الدين والتاريخ وأحرقت كل الكتب السماوية والبشرية ضمن عملية التطهير كما يسميها جلالته الأب الأعظم، تطهير الإنسان من مكل شيء يجعله يسمى إنسانا، حتى الأحاسيس والمشاعر رأى فيها مجلبة للمتاعب لذلك لا بد من نبذها.

هكذا أدخلت جيوش الناس في أحشاء الآلات ليخرجوا منها كل مبرمج لمهمة محددة ثم جمعوا في محتشدات ضخمة وقسموا حسب انتمائهم إلى طبقات فكانت الدولة مقسمة إلى ثلاث وثلاثين طبقة يتولى شؤون كل طبقة مجلس مكون من حكيم يساعده على أداء المهام كاهن عسكري ومرب، ولهم كل شهر حج إلى القاعة المباركة، التي هي قاعة الاجتماع للتزود بالطاقة الحيوية من الأب الأعظم، الذي هو القوة العظمى للدولة العالمية.

تتنوع أقاليم الفضاء الضديوطوبي وتشتغل ضمن سيرورة دلالية واحدة تقضي منذ البداية بمسخ الإنسان وتغليب الآلة عليه، إذ دمرت كل الكنائس والمساجد والمعابد وحطم كل شيء يمت للدين بصلة وأقيم دين جديد يؤمن بأبوة الأب الأعظم وعبوديته «كما أنشئت بيوت عبادة حديثة يدخلها لداخل في جو من الخشوع والندم فيقدم ولاءه وخضوعه ثم يجد ما تشتهي نفسه ماثلا بين يديه»[14]. وبهذا كان الدين قائما على توحيد الأبوة العظمى وإقامة لنعيم على الأرض لا السماء.

2- **مسخ الإنسان:** تقوم الرواية على فلسفة المحو والتجاوز؛ محو إنسانية الإنسان ومشاعره وتخطيها لبلوغ تعلي الآلة وقدراتها، التي تفوق الإنسان في البرمجة وفي الاستجابة الفورية. إنها تقدم وقائع عن إنسان المستقبل المسلوب الذي يقف عاجزا أمام سيطرة الآلة عليه فيقرر وضع حد لحياته التي أصبحت لا تعني شيئا. فقد جاء بعد مقدمة الرواية مباشرة خمس رسائل ممضاة من أشخاص أقدموا على الانتحار لوضع حد لحياتهم التي مسختها التقنية المتطورة وفضلت البديل التكنولوجي المبرمج "الآلة" عليها ثم تعرفنا بجلالة الأب الأعظم الذي جاء لينقد البشرية مما آلت إليه لنكتشف أن الوضع كان من تخطيط مسبق منه ومن المجالس السرية التي ترعاه. كما تقدم الرواية شخصية عشتار التي اتخذها الأب الأعظم بمثابة الأم العظمى التي تتعلق بالصبي موسى وتتخذه ولدا لها، وهو الذي ما إن يبلغ سن الشباب حتى يتعرف على العالم الخارجي ويرى إنسان ما خلف الجدران ويكتشف جبروت الأب الأعظم، فيحاول تخليص البشرية من همجيته.

تقدم الرواية صراع الإنسان المحارب من أجل القضاء على الروح والمشاعر.

والشيء نفسه تصوره قصة "المعزول" في مجموعة فيصل الأحمر القصصية الخيالية العلمية «وقائع من العالم الآخر» التي تقدم جوا من المنافسة والصراع الحاد بين الإنسان البشري والإنسان الآلي الذي صنعه بيده، ويتوقع فيها الكاتب سيادة تكنولوجيا الآلة حتى على مستوى أداء الخدمات الذهنية كفكرة التخاطر الذهني والكاتب هنا يقر بإمكانية سيطرة العقول الآلية على العقول البشرية وبالتالي يخشى من سيطرتها على سلطة القرار والقيادة فهي تتطور لتصبح قادرة على برمجة نفسها بنفسها، وأشدها خطرا على المجتمع البشري تلك العقول الشريرة التي تسعى إلى إفساد كل جميل في الحياة.

تدور أحداث قصة المعزول حول إنسان مستقبلي تطبق عليه عقوبة العزل من الدرجة الخامسة داخل برنامج تلفزيوني ولما يضيق ذرعا بالمكان وبالظروف، التي تحيط به من كل جانب يعزل نفسه داخل ذكريات الماضي ملتصقا بذاته وبتداعياته الحميمية إلى زمن قديم. وهذا نوع من النزوع إلى استعادة السيطرة على الذات ومحاولة البحث عن خلاص لها من شبح الآلة.

طرحت الفلسفة المعاصرة طغيان الآلة على الإنسان وتحول الطبيعة البشرية بفعل نواميس الحياة المتغيرة والخاضعة لسلطة التكنولوجيا والتقدم العلمي خاصة مع الفيلسوف الألماني هايدجر الذي عد «التقنية عصرا من عصور التاريخ الكبرى وكيفية من كيفيات الوجود الإنساني» [15]، نظرا لكونها تحول الطبيعة إلى مستودع لا متناه من الطاقة [16] وتحول الإنسان إلى مجرد فاعل من فاعليها وخادم لها وخاضع لقوتها في كل مجالات وجوده. ويؤكد هايدجر أن التقنية أصبحت تهدد بالانفلات من مراقبة الإنسان [17] وبالفعل تجاوزت التقنية إرادته ومراقبته[18].

ومن الروايات المغربية الخيالية العلمية، التي صورت حالة الإنسان المستقبلي الممسوخ وكشفت في جو مأساوي أضرار التطور العلمي ممثلا في القنبلة الذرية وطغيان الآلة على الإنسان رواية "الطوفان الأزرق" لأحمد عبد السلام البقالي، التي تطرح مشكلة التقنية من خلال تحكم "معاذ" الكائن الآلي الذي برمجه الإنسان بعد أن هربت هيئة من العلماء إلى جبل الجودي بهدف إنقاذ البشرية من جرب عالمية ثالثة. ويمكن وصفه بأنه أكمل آلة صنعها مخلوق ناقص هو الإنسان ومعاذ وهو اختصار الاسم المطول مجمع

العلاقات الإلكترونية الذاتية «ويوجد بجبل الجودي هذا أكثر من خمسة آلاف علم وعالمة في جميع ميادينهم من معلومات... وقد أصبحت أحشاؤه الآن تحتوي على مجمل المعرفة البشرية... لكنه انفلت من مراقبتهم وأصبح يتمتع بالحرية بعد برمجته»[19].

تقدم الرواية رؤية استشرافية تنطلق في البداية من الرغبة في تخليص الإنسان المريض من أدوائه وذلك بالقضاء عليه وتخليص البشرية منه ليعمر من جديد نسل صاف يحمل قيما ورهانات علمية مختلفة يقول السارد على لسان معاذ «يجب أن نخلق الطوفان بمالنا من وسائل علمية تضمن نجاح العملية ونجاح نواة الإنسان الجديد في قلب هذا الجبل الذي سميناه بحث "الجودي"، لذلك يكون الاقتراح أن يطلق الجودي على الكرة الأرضية شعاعه الأزرق السري الذي سيفني البشرية كلها بطريقة رحيمة لا ألم فيها ولا خوف ثم يقوم بعملية تنظيف الأرض من آثار الإشعاع ويبدأ دور البشرية الثانية التي أوشكت على اختراق حاجز تطور جديد لتقوم على أنقاضها وتعمر الأرض من البداية»[20].

وبعد تحسس الخطر المحدق بالبشرية من العلماء، وعلى رأسهم على نادر العالم الأنثروبولوجي نتيجة السلوكات الغير سوية التي أبداها "معاذ"، كتحكمه في العلماء الذين برمجوه، وتدخله في الحمل والولادة ومحاولته جعل الإنسان آلة تابعة لسلطته قام البطل بطرح الأسئلة والبحث عن حلول من أجل تخليص الإنسان من الأخطار، التي يمكن أن تلحق به نتيجة تهور الآلة ومحاولتها بسط نفوذها على العالم.

وعلى العموم «انشغلت هذه الرواية بقضايا علمية صرفة من خلال مخلفات العلم ونتائجه على الوجود البشري ونتائجه التي يخبئها في المستقبل» [21] كما طرحت الرواية قضية صدام العمل والمشاعر التي انتهت المشاعر في أعقاب خاتمتها بالانتصار وإعادة الثقة في الإنسان.

3- **انتصار الإنسان:** تقدم لنا رواية أمين العلواني حكايات منفصلة زمانيا ومكانيا تمارس بجلاء نوعا من اللعب على سرد أحداث ووقائع تقدم مرة بخيال علمي مستقبلي استشرافي حين يتعلق الأمر بأمين العلواني/السيرة، ومرة بخيال استرجاعي واقعي حين يتعلق الأمر بفيصل الأحمر/السيرة وتتدرج السيرتان في عمل تخييلي لفيصل الأحمر

الواقعي، الذي يكتب رواية خيالية علمية والذي يحاول تضليلنا بإيهامنا أن كاتب السيرتين هو مالك الأديب.

تعتمد الرواية على تقنيات كثيرة في بناء أنموذجها تزاوج فيه بين مكتسبات فلسفة الخيال العملي وتحديات الكتابة الحداثية (وربما ما بعد الحداثية)، التي تنزع في أبسط مقولاتها وأقواها نفاذا إلى خلخلة الجنس الأدبي وإرباك ما يرتبط به من جماليات قائمة محاولة إقامة الأنموذج المتفرد القائم فيما وراء النماذج العليا؛ الذي يشتت ويقوض ليبني في حرية التجريب والإبداع، مكانا ومكانة.

تقدم الرواية استنبطانا لخفايا النفس البشرية المتأملة النازعة إلى التعالي وبلوغ اليقين، ذلك ما يقدمه الراوي في تفصيل الحديث عن تمزق الكاتب أمين العلواني وتقلب سلوكاته وقراراته منذ سنوات الكتابة الأولى أين كان يشقى في البحث عن أسلوب مقنع يرضى به ويدفعه نحو الإيمان بمصيره في الحياة.

يفتش أمين العلواني في رصيده المعجمي عن الإمكانات اللغوية التي يصنع بها الجمل كمن يفتش عن الحقيقة في عالم كل ما فيه مجاز « وكان أول شيء بدأ به حياته الأدبية هو تحرير يوميات مفصلة يتعرض فيها إلى أهم ما مر به متحللا بالتفصيل إلا أنه سرعان ما كان يجد صعوبة في السير إلى الأمام والذهاب بعيدا في مشروعه ووجد ما يحدث له في أيام الدراسة متشابها بحيث يصعب أن تكون يوميات الأيام السبع مختلفة ... وتمنى في مرحلة من المراحل لو أن في الأسبوع ثلاثة أيام فقط أو يومين ... لم لا؟ وبعد أصناف من الإخفاق اهتدى إلى تقنية بسيطة هي استعمال كلمة أو بتعبير بسيط فقط يلخص اليوم كله فتحولت يومياته إلى شيء من هذا القبيل :

السبت 19 جوان 2031: صمت السنديان.

الأحد 20 جوان 2031 : صليحة

الاثنين 21 جوان 2031 : التاريخ الحديث» [22].

.

.

.

الخ

تقدم الرواية في سردها المستقبلي لوقائع أمين العلواني التي تعترضه حيال صراعه الداخلي مع أسئلة الكتابة وحيال نزعته القوية في تعاطي مختلف أدوات الإبداع وفي فهم أسرار التنور والتألق جوا مشحونا بالتوتر وبالضغط النفسي، الذي يطال المتلقي ويدفعه إلى ترقب كل جديد حول مصير هذا الكاتب المشتت الذي يتحول إلى كاتب كبير في المستقبل، وهو في واقع الأمر ليس آلة أو شبه آلة أنجبتها التقنيات والتكنولوجيات الحديثة وهو لا يتمتع بقوى فوق إنسانية كتلك التي يتمتع بها أبطال إسحاق عظيموف.

إنه شخص فائق الحس، دائم التشبث بالقوة الإلهية المعينة على التبصر وارتياد آفاق الكتابة/ جنة أمين العلواني التي يتحرك في عوالمها السبرنيطيقية ويتفاعل مع آلاف القراء «يجب عدم الانشغال بشيء آخر من أعراض الحياة المادية الدنيوية البسيطة لكي تدوم يقظتي وانتباهي فألتقط كل الإشارات... الصلاة، الصمت، التأمل السهر مطولا، عدم إكثار الأكل، تجنب كثرة الأصدقاء، تجنب المواقع التافهة وإن أمكن ما عدا موقعي الخاص ومواقع المتنورين الذين قد يساعدونني على بلوغ اليقين»[23].

تتحدث الرواية في عمومها عن هواجس الذات الكاتبة في النصف الأول من القرن الواحد والعشرين وعن "ممكن" الوسائط التفاعلية الناقلة لفعل الكتابة والمنتجة لشروط خارقة تصنع أبعادا لا محدودة في تداوليتها وفي قدرتها العجيبة على صنع المعرفة وتبديل القناعات والحقائق؛ إنها رواية الكتابة التي تتحدث عن الكتابة والإنسان الذي يتحدث عن الإنسان البديل في تمثله العالي للثقافة والإبداع وفلسفته وفي إحاطته بإشكالات عديدة في الحياة والأدب القائمين في المستقبل.

إن الرواية تعيد ترتيب بيت الأدب الخيالي العلمي دون أن تعلق ذلك بلفظ صريح عن طريق المراهنة على الإنسان كذات فاعلة متفاعلة والتركيز عليه كموضوع جوهري ومحاولة ملامسة أدق تفاصيل حياته وبومياته ومذكراته ولحظات سعادته وشقائه وتأرجحه المستمر بين قوى الشر والخير الكامنة فيه.

تقدم هذه الرواية متابعة بأدوات تقريرية لحيوات أمين العلواني التي لا يقدمها السرد بلسان الراوي العليم فحسب وإنما تلك التي تتمظهر في شكل برامج مبثوثة على الشبكة ونقرأها نحن في الرواية تحت عناوين فرعية عديدة فأمين العلواني لا يتوانى في تسجيل

كل ما يعرض له على الشبكة، نلمس ذلك من اطلاعنا على صفحات "الشقوق" «وهي ملاحظات كان يسجلها على بطاقته الشخصية من أجل الاستفادة منها أثناء التأليف فالشقوق في أصلها مجرد ملاحظات قارئ متفاعل»[24].

ويمكننا فهم البعد الإنساني لصيرورة الكاتب والكتابة عموما تحت تأثير العلم وتطوراته حين نقرأ:

* جمل جميلة :

– أجمل القصص تلك التي لا تحدث في القصص والروايات

– نظرت إليها ومعها خمس وعشرون سنة من السطوع والشهرة واللمعان ومعي خمس وعشرون من الأحلام والأفراح...

* من جملة ما يجب قراءته على الشبكة:

نقطة اليوم (أ.بريتون) – مسرحيات يونسكو– استراتيجية الانحطاط (كاتي مول)– ملف جبريل والإلهيات الأخرى (جون دورمسون).

* إشكاليات فلسفية للاستفادة منها :

– صراع الأنا والآخر في تكوين الأفكار والسلوك– روح الأفكار ومنشؤها (إشكاليات التأليف وبراءات الأفكار) – العود الأبدي– المادية والروح... [25]

تحفل رواية أمين العلواني بإعلاء صوت الذات وبانتصار الإنسان الذي يحيا في اللغة وباللغة فهي الآخر الذي يعانقه ويلتحم معه حتى يتحقق ويكون أليست اللغة هي الآخر الرمزي كما يقول "لا كان" فكينونة المرء لا تتحقق إلا من خلال القدرة على القول. هذه القدرة تعتمد على استخدام نظام تمثيلي (اللغة) يسبق الوجود. فحين الإنسان يكون أصلا منطوقا أو مكتوبا مسبقا. وهذا الوضع يجعل الوعي الذاتي نفسه مخترقا من الخارج"[26]

فليست اللغة التي تشكل مدار وجود أمين العلواني/فيصل الأحمر الكاتبين اللذين يتبادلان الأدوار في عالم المتخيل الروائي الخيالي العلمي سوى "هوية" تبحث الذات المتشظية عنها في عالم مستقبلي يراهن على الإنسان الحالم المتعالي الذي لا تقتله الوسائط التكنولوجية الخارقة

– تقترح الرواية بعضا منها في حدود افتراضيتها العلمية– بل على العكس من ذلك إذ تشتغل من أجل القول بانتصار الأدب، والعلوم الإنسانية.

4– تيمة الرحلة: تتمظهر تيمة الرحلة في روايات الخيال العلمي المغربية بأشكال متفاوتة، اتخذت من الزمن بأبعاده الثلاثية (الماضي والحاضر والمستقبل) أقانيم تدور في فلكها، فتنطلق من الواقع بخيال استرجاعي إلى الماضي تارة، وبخيال استشرافي تارة أخرى مزاوجة بينهما في ضرب من اللعب الطريف والتجريب السردي، كما في رواية أمين العلواني، التي هي رحلة كاتب إلى الماضي من أجل استكشاف سيرة قديمة توازيها رحلة مستقبلية من أجل تأسيس كينونة إبداعية خارقة. كما تدور رواية نبيل دادوة الخيالية العلمية" الكلمات الجميلة" [27] حول فكرة الرحلة والتحليق إلى كوكب الزهرة وهي حكاية من أناس عاشوا في الأندلس ثم اضطرتهم الهزيمة إلى العودة إلى جبالهم ومواطنهم عبر الساحل الشرقي الجزائري وهم أشخاص يرحلون إلى كوكب الزهرة لجلب الكلمات الجميلة»[28]. وقدمت رواية "إكسير الحياة" لمحمد عزيز الحبابي نموذجا للرواية وإنما يتم استحضارها كمطية لتوجيه النقد والهجاء إلى المجتمع. فهي بمثابة شكل أو إطار خارجي لمناقشة قضايا أخرى»[29]. ويتخذ أبطال رواية الطوفان الأزرق من جبل الجودي فضاء للهرب، خوفا من قيام حرب ذرية ثالثة. وما كانت الرحلة إلى هناك إلا من أجل بحث مشروع الإشراف على تشكيل مستقبل الإنسان وحمايته من الأخطار المتوقعة.

الإحالات:

---

(1)– نهاد شريف: الدور الحيوي لأدب الخيال العلمي في ثقافتنا العلمية. المكتبة الأكاديمية – 1997 ص25–26.

(2)– روبرت سكولز وآخرون: آفاق أدب الخيال العلمي. ترجمة حسن حسني شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996 ، ص15.

(3) –م نفسها. ص15

(4) – راجي عنايت: ثورة حضارية زاحفة. دار الهلال ط1. 1987. ص8

(5) –مجموعة من المؤلفين/مجموعة من المترجمين : أدب الخيال– الثقافةالأجنبية– دار الحرية للطباعة 1989 ص86.

(6) –نهاد شريف : ص32

(7) –ينظر : عالم الفكر. عدد 04. المجلد 14. 1988، ص81 .

(8) – فيصل الأحمر : التيمات الخمس. مدخل إلى الخيال العلمي. مجلة الثقافة ع2. مارس 2004 ص59.

(9) – نهاد شريف : الدور الحيوي لأدب الخيال العلمي في ثقافتنا العلمية– ص29.

(10) – روبرت سكولز وآخرون: آفاق أدب الخيال العلمي – ص107.

(11) -chad Walsh, Geaffrey Bees : From Utopia to Nightmare

(12) –IBID- P25 London- P25

(13) -J.W.Johnson : Utopian Literature- p12-

(14) – حبيب مونسي: جلالته الأب الأعظم (الخطر الآتي من المستقبل). دار الغرب للنشر والتوزيع. وهران. 2002. ص67.

(15) – عبد السلام بن عبد العالي: أسس الفكر الفلسفي المعاصر. منشورات دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. ط2. 2000. ص58.

(16) –M.heidegger : la question de la technique in essais et conférences. T.A.Preau. Ed. Gallimard.1958. P20.

(17) –IBIP P13.

(18) –IBID P32.

(19) – بوشعيب الساوري : الخيال العلمي في الرواية المغربية. الانشغالات والخصوصيات مجلة فصول ع 71. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، 2007، ص64.

(20) – أحمد عبد السلام البقالي: الطوفان الأزرق. رواية لخيال العلمي. منشورات اتحاد الكتاب العرب. 1997 ، ص100.

(21) - بوشعيب الساوري : ص65.

(22) - فيصل الأحمر: أمين العلواني. دار المعرفة. الجزائر – 2008 – ص16–15

(23)- م. نفسه. ص39.

(24) – م. نفسه. ص60.

(25) – م. نفسه. ص40–42.

(26) – ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الادبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط3، 2002 ص24.

(27) – نبيل داودة: الكلمات الجميلة. رحلة إلى الزهرة. دار المعرفة – الجزائر – 2008.

(28) – م.نفسه، ص03.

(29) – بوشعيب الساوري: ص65.